مظاهر الحروب الصليبية في شعر العصر الأيّوبيِّ

Features of the Crusades in the Poetry of The Ayyubic Period

Gambaran Perang Salib dalam Puisi Zaman al-Ayubi

عبد المنعم أحمد محمد أحمد*

ملخص البحث:

شهد العصر الأيّوبيّ صراعًا محتدمًا بسبب الحروب الصليبيّة، وتركت هذه الحروب آثارها ومظاهرها على المجتمع وصبغته بصبغتها وثارت مشاعر الغضب في كلّ البلاد الإسلامية. يناقش هذا البحث دور الشعر و الشعراء بوصفهم طائفة من النسيج الاجتماعي لهذا المجتمع، ويحاول البحث الإجابة عن أسئلة، منها: هل كان لهم دورٌ في هذا الصراع؟ وكيف كانت نظرتهم لهذه الحرب الضروس؟ وهل آمنوا بأنّ الكلمة فعل فالتزموا بها، أم اكتفوا بالاشتراك فيها بذواتهم؟ وسوف ننظر إلى آثارهم في هذه الحروب، ونبين ما امتازت به أشعارهم، وأيّ الطرق سلكوا في وصفها، وبأيّ لون تلون شعرهم. ومنهج الباحث في ذلك هو المنهج الوصفي والتحليلي.

الكلمات المفتاحية: الجانب الدينيّ- تمجيد البطولة- وصف المعارك- السخرية- أدوات الحرب.

Abstract:
The Ayyubic period had witnessed heated conflicts as a result of the Crusades. The series of armed campaigns had left their marks on societies

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية اللغات والاتصالية، جامعة السلطان إدريس التربوية، بيراك، ماليزيا.

and invoked the feeling of anger in the lands of the Muslims. This paper discusses the role of poets and poems as part of the societies. It tries to answer the questions, among others: Did they have any role in this conflict? What were their views in these fierce wars? Did the poets believe in the words of their poems thus committing to the cause or were they just sympathets with them? We look at the effects of wars and try to find the features that made them stand out from the rest, the methods of description employed by the poets and the tone that coloured their poems. Descriptive and analytical methods were used in this study.

Keywords: Religious Aspect – Idolization of Heroes – Description of Wars – Irony – Tools of War

Abstrak:
Zaman Al-Ayubi telah menyaksikan konflik yang ketara disebabkan siri peperangan Salib yang telah meninggalkan kesan yang mendalam ke atas masyarakat dan meniupkan kemarahan ke seluruh dunia Islam. Kajian ini membincangkan peranan yang dimainkan oleh syair serta penyair sebagai sebahagian daripada kelompok masyarakat ini, setrusnya mengupas beberapa persoalan, antaranya: Adakah para penyair mempunyai peranan dalm konflik tersebut? Apakah pandangan mereka terhadap peperangan yang sengit itu? Adakah mereka percaya bahawa kata-kata berupa tindakan lalu mereka berpegang teguh dengannya, atau sekadar berperanan seadanya? Kita akan melihat peranan mereka dalam peperangan ini dan menyatakan ciri-ciri yang terdapat dalam syair mereka, pendekatan yang diambil untuk menggambarkannya, corak dan bentuk syair mereka. Metod kajian ini adalah diskriptif dan analisa.

Kata kunci: Aspek Keagamaan – Mengagungkan Kepahlawanan – Gambaran Medan Peperangan – Sinis – Alat Peperangan

مقدمة:

أقام صلاح الدين الأيوبي أحد قواد جيش الملك نور الدين محمد بن عماد الدين زنكي في مصر دولة الأيوبيين على أنقاض الدولة الفاطمية،[١] ثم ورث عن ابن نور الدين محمود زنكي بلاد الشام،[٢] فشملت بذلك حدود الدولة الأيوبية مصر والشام والحجاز والجزيرة واليمن. واستمدت الدولة شرعيتها في الحكم من الخلافة العباسية في بغداد، فلقد كان حكمها إنابةً عن خليفة المسلمين ولو ظاهرًيا.[٣] وامتد حكم الدولة الأيوبية من سنة خمسمائة وسبعة وستين، حتى سنة ستمائة وثمانية وأربعين هجرية، حظيت فيها بنظام إداري محكم كان أساسه الولاة، والوزراء، ونظار الدواوين،[٤] وكان انشغالها بدرء خطر الفرنج سببًا في أن تتسم

حياتها الاجتماعية بالجد والصرامة كما امتازت بوجود طوائف مذهبية ودينية متعددة،[٥] وعمادها الاقتصادي كان على الزراعة، والرعي، والتجارة،[٦] وتأثر المجتمع الأيوبي بالناتج من حركة الأدب والشعر وعلوم العربية والفقه والتفسير وسائر العلوم الشرعية، فاصطبغ العصر بظلاله فكرًا وثقافةً.[٧]

وشهد العالم الإسلامي حوادث مزلزلة في القرن الخامس الهجري كادت أن تقلع أركانه لولا عناية الله، فقد بدأت الحروب الصليبية بهزيمة البويهيين بالشام في سنة أربعمائة واثنين وستين، وأخذت الحرب صبغتها الدينية عندما اجتمع البابا مع أباطرة أوربا في (كلير مونت) بفرنسا. وبعد أن استولى الفرنج على بلاد المسلمين قسموها إلى أربعة أقاليم هي: الرُّها، وإمارة أنطاكية، وإمارة طرابلس، ومملكة القدس، واستمر السجال بين المسلمين والفرنج حتى توحد المسلمون تحت قيادة عماد الدين زنكي ومن بعده ابنه نور الدين محمود زنكي، واستطاعا أن يستردا كثيرًا من بلاد المسلمين من أيادي الفرنج، واستمر الحال كذلك حتى قُيض لنصرة الإسلام والمسلمين القائد الفذ صلاح الدين الأيوبي، الذي استطاع مع الأخيار الصادقين من هذه الأمة أن يرد عادية الغزاة من الفرنجة، ولولا هذا التصدي لدكت صياصي الإسلام وظلّ أهله تحت رحمة الغاصبين من الفرنجة،فقد نافحهم كفاحًا وأذاقهم الذلّ والانكسار في معارك شديدة البأس مازال التاريخ يحفظ سيرتها، ويستلهم منها كل غيور ومدافع لبيضة الإسلام.

تركت هذه الحروب آثارها ومظاهرها على مجتمع الدولة الأيوبية فقد عرفت هذه الحروب بطابعها الديني، وشهدت أعظم حشود حربية معدة ومدربة، وصاحبتها معارك ضارية وحامية الوطيس وشديدة البأس.

واشتط الفرنجة في القسوة وتدمير البلاد وإجلاء العباد عن أرضهم، فقد أفاض اللاجئون المسلمون الذين شهدوا مذابح الصليبين في وصف هذه الفظائع، وأثاروا بأخبارها مشاعر الغضب والاستياء في كل بلاد الإسلام.[٨]

ولم يكن الشعر ببعيد عن هذه الأحداث العظيمة فلقد أهاج الشعراء مشاعر المسلمين وحميتهم.[٩] وسجل الشعر ملاحم البطولة الأيوبية، فانبرى فرسان القوافي للذود عن الحياض والحمى والإشادة بأباة الضيم وكأننا بهم قد أدركوا مهمة الشعر وآمنوا أن الكلمة فعل فالتزموا بها، ولم يكتفوا بذلك بل شاركوا بذواتهم في أعمال الحرب والجهاد من خلال أدوارهم في الوزارة أو التفاوض أو الكتابة لصلاح الدين الأيوبي أمثال الشاعر الوزير القاضي الفضل، والشاعر والكاتب العماد الأصفهاني، والشاعر القاضي البهاء زهير.[١٠]

واستطاع الشعراء تتبع آثار ومظاهر هذه الحروب وامتازت أشعارهم بالحماسة المتدفقة في أرجائها، وحرارة العاطفة التي تبعث الحياة والقوة، وارتقوا في وصف الجهاد إلى أعلى مرتبة بلغها هذا الفن من حيث الصياغة والجزالة والمعاني الرفيعة. وكان تعبير الشعراء ناشئًا من انفعالات المجتمع الثائر عند تلاحم الصفوف في المعارك والتواق لنصرة الدين والمستبشر فرحًا للانتصار وانهزام العدو وضعف كيده، وظهرت مجموعة من الكتاب التي تمجد الجهاد وتبين ضرورته، فقد ألف القاضي ابن شداد كتابه الموسوم بفضل الجهاد، وألف أبو شامة كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تمجيدًا للقائدين نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي، حتى يقتدي الناس بسيرتهما.[١١] ولم يكن الشعر الجهادي يصور الحكام القادة وحدهم –وإن كانوا يستحقون ذلك– وإنما كان يصور جماعة المسلمين المجاهدين وانفعالاتهم وحماسهم، وخذلان الفرنجة وخيبة آمالهم.

وقد تلون هذا الشعر بألوان شتى ما بين إظهار للجانب الديني للحرب واستمداد للتاريخ الإسلامي، وتمجيد للبطولة والأبطال، ووصف المعارك الكبرى، والسخرية من تهديد العدو وتصوير قوته، ووصف الأدوات الحربية.

الجانب الديني للحرب:

تغيّا الشعراء إثارة الحمية الدينية لدى المسلمين؛ فجاء شعرهم محرضًا على الجهاد، فلقد كان الإسلام في خطر من تلك الهجمة الصليبية الشرسة التي لاتبقي ولاتذر، فخاطبوا عزمات الملوك والقادة مستنهضين هممهم،كما عمدوا إلى حض المجتمع على الجهاد وبخاصة في

أوقات الشدة، فها هو الشاعر الوزير القاضي الفاضل يحث صلاح الدين على الجهاد فيقول:[١٢]

جِهَـــادُك النصـــر لا لـــولا تنقصـــه وســـيفك الظـــل لا شمـــس تـــقلصه
انصـــفت دهـــرك في الأيـــام تشـــملها بالمجـــد منـــك ولا يـــوم تخصصـــه
فـــالزغف في الله تبليـــه وتخلقـــه والسيـــف في الله تغليـــه وترخصـــه
عـــزائم في ســـبيل الله خالصـــة ومـــا تخلـــص عـــزم لســـت تخلصـــه

يؤكد الشاعر أن جهاد ممدوحه عاقبته نصر ظافر لا شك فيه، وكلمة (لولا) الدالة على التسويف والندم لاتنقص

من عزمات البطل صلاح الدين الأيوبي ولاتنقص من شأن جهاده، وسيف الممدوح يوحي بالرهبة ويلقي الرعب في قلوب الأعداء، وهوكالظل الظليل الذي سكن إليه الشعب فيجد عنده الطمأنينة والأمن.ويشيد الشاعر بعزائم الممدوح العالية ويؤكد أنه قادر على تحقيق النصر.

ومن أجمل أنواع التحريض على نصرة الدين وفضل الجهاد والحرص على الإسلام وأهله، تلك الأبيات التي بعثها أمير دمياط جمال الدين الكناني إلى الملك الكامل بن صلاح الدين الأيّوبيّ بعد أن أحاطت الفرنجة بثغر دمياط إحاطة السوار بالمعصم، ولم يبق لهم إلا أن يدخلوها فيهدموا مسجدها ويسبوا نسائها، ويعلو صوت الناقوس ويعبد الصليب، فقال الكناني:[١٣]

أشـــكو إليـــكَ عـــدوَّ ســـوءٍ أحـــدقت بجمـــــيعه فرســـــانه وخيولُـــــهُ
فـــالبرُ قـــد مُنعـــت إليـــهِ طريقـــه والبحـــرُ عـــز لنصـــره أســـطولُهُ
فخضـــوعه بـــادٍ علـــى أبرَاجـــهِ وحنينـــــه وبكـــــاؤه وعويلُـــــهُ
ولـــو اســـتطاع لأمَّ بابـــكَ لائـــذًا لكنـــهُ سُـــدت عليـــه ســـبيلُهُ
فقـــد انتهـــت أدواؤهُ وتحكمـــتْ علاتـــهُ ونَحـــا عليـــهِ نُحولُـــهُ
وبقـــي لـــهُ رمـــق يســـيرٌ يُرتجـــى أنْ يشْـــتفي لمـــا دعـــاك عليلُـــهُ

فـــاحرس حِمـــاك بعزمـــة تشـــفي بهـــا داء بمثلـــــك يُرتَجـــــى تعليلُـــــهُ
فـــــالله أعطـــــاكَ الكثـــــير بفضـــــله ورضـــاه مـــن هـــذا الكثـــير قليلُـــهُ
فالعـــــذر في نصـــــرِ الإلـــــهِ ودينـــــه مـــا ســـاغ عنـــد المســـلمين قبولُـــهُ
والثغـــــرُ نـــــاظرةُ إليـــــكَ محـــــدقٌ مـــا أن يَمـــلَّ مـــن الـــدموعِ همولُـــهُ
ولـــئن قعـــدت عـــن القيـــامِ لنصـــرِهِ جفـــت نضـــارتُهُ وبـــانَ ذُبولُـــهُ
ووهـــت قـــوى القـــرآن فيـــه ورُفِّعـــت صِـــلبانه وتُلـــي بـــهِ إنجيلُـــهُ
وعـــلا صـــدى النـــاقوس في أرجائـــهِ وخفـــي علـــى سمـــعِ الـــورى تهليلُـــهُ
هـــذا وحقُّـــك وصـــف صـــورة حالـــه حقًّـــا وجملتـــه وذا تفصـــيلُهُ
وكفـــاك يـــا ابـــن الأكـــرمينَ بأنـــه أضـــحى عليـــكَ مـــن الـــورى تعويلُـــهُ
حقـــق رجـــاءً فيـــكَ يـــا مـــن لم يخـــبْ أبـــدًا لراجـــي جُـــودهُ تأميلُـــهُ
وأذخـــر ليـــوم البعـــث فعـــلًا صـــالحًا الله ضـــامن أجـــرهُ وكفيلُـــهُ

وكان لهذه الأبيات أثرها في نفس الكامل فنادى بالجهاد العام في البلاد، وقاد الجيوش بنفسه وهذا ما سوف نعرض له في حينه. والأبيات بدأت بالشكوى ووصف العدو وقوته، وبينت حصاره لأهل دمياط برًا وبحرًا حتى لم يعد لهم منفذ، وهذا الإحكام للحصار عاقبته بلا شك احتلال البوابة المفضية إلى بقية بلاد الإسلام، ثم أعقب الشاعر تلك الصور بدعوة الملك إلى نصرة الإسلام والمسلمين، وحدَّث بما سيؤول إليه الحال إن تخاذل عن النصرة من نفاذ للعدو إلى ذلك الثغر وإعماله القتل والسبي، وطغيان دين الفرنجة على دين الإسلام، ثم ختم بذلك الرجاء الجميل الذي استثار به عزماته وحميته وغيرته على الدين.

ومظهر آخر من مظاهر إثارة الحمية الدينية تلك الأبيات التي قالها الشاعر سعادة الأعمى وأشاد فيها بغضبة صلاح الدين الأيوبي من أجل الإسلام، وفي الأبيات دلالة واضحة على ماكان يعتمل في نفوس القادة والمجتمع من غيرة على هذا الدين، ونلحظ في الأبيات استدعاء التاريخ الإسلامي بمجده وفتوحاته وسيادته على العالمين، يقول:[١٤]

نَصـــرت الهـــدى لمـــا تخـــاذل حزبـــه فنـــاداكَ حـــزبُ الله يـــا ناصـــر الهـــدى

غضبت لدين أنتَ حقًّا صلاحه فأرضيت لما أن غَضِبتَ محمدا

وقال الشاعر ابن النحاس المصري يحيى بن علم الملك، في نصرة صلاح الدين للإسلام والمسلمين:[١٥]

يا مالك المصر والشامينِ واليمنِ ويا مُعيدَ حياةِ الفَرْضِ والسنَنِ
وناصر الحقِّ إن عزَّتْ خواذلُهُ ومنقذ الدين والدنيا من الفِتنِ
لقد بُعِثْتَ لإصلاحِ الوجودِ فما أصبحت إلا محلَّ الروح في البدنِ
وما يداجيكَ إلا كافرٌ أشِرٌ وينثني عنك إلا عابدُ الوثنِ

الشاعر في هذه الأبيات يمدح صلاح الدين الأيوبي الذي أحيا الدين مما حاق به من ضلالات الفاطميين وبدع أهل التشيع، ثم يذكر عدله وعزيمته العالية في توحيد الصف ووأد الفتن والثورات، ويؤكد أنه جاء ليملأ الأرض عدلًا ويطهرها من رجس الفرنجة ويحق الحق وينشر الدين، ثم يبين الشاعر المكانة العالية التي وصل إليها ممدوحه عند الرعية، فقد صار منهم بمثابة الروح. وفي الأبيات نلحظ وقوف المجتمع مع قادته حماية للدين وذودًا عن العرض والحمى

وما سقناه من نصوص تتصف بالغيرة المؤمنة، وحرارة تشع منها وتسري في تلافيفها، وتدل على صدورها من قلوب مؤمنة، وانفعال صادق، وغيرة بالغة على الدين، وتتصف كذلك بتصوير الحال تصويرًا بليغًا يمس في النفوس أماكن حساسة فيستثيرها.

تمجيد البطولة والأبطال:

فتن الشعراء ببطولة القادة الأيوبين، فطفقوا يتغنون بها كما فعل الشعراء من قبل مع سيف الدولة الحمدانيِّ. فقد مجد شعراء العصر الأيوبي أبطالهم وخلدوا أسماءهم، فأحاطهم المجتمع بهالة من التقديس والإعجاب، وصاروا عنده مقربين إلى النفس والقلب مزدانين بالإيمان ومجملين باليقين ومطاعين الأمر والقول.

وحظي صلاح الدين الأيوبي–أعظم الأبطال– بتقدير الناس أجمعين، فقد خاض المعركة المصيرية وأخرج الأمة من بركة الفرنجة الآسنة، وحفز الهمم، وبعث العزائم، وأنقذ الإسلام، وحرر القدس، فنظم الشعراء فيه أسباب المجد وشدوا بوقائعه وجهاده، وقد تغنى عدد كبير من الشعراء ببطولاته، منهم الشاعر الذرويّ الذي قال فيه:[١٦]

شـرحت لمـتنِ الـدين بالسـمرِ والظُّبـا ... مـن المجـدِ معـنًى كـان مـن قبـل يغمـضُ
وماكـاد جـيشُ الـروم يُـبرم كيـدهُ ... إلى أن سـرت منـك المهابـة تـنقضُ
أسـرتَ ملـوكَ الكفـرِ حـتى تركتـه ... ومـا فيـه عـرقٌ عَـنْ قـوى الـنَّفس ينـبضُ

نرى أن ابن الذرويّ قد رسم في أبياته صورًا رائعة لصلاح الدين،فهو الذي أحيا في الناس روح الجهاد وأعاد العظمة والعزة التي كست المسلمين، وصور الشاعر الذعر والرعب الذي أصاب العدو من هيبة المجاهدين بعد أن كادت تلك المهابة تختفي من صدورهم تجاه المسلمين. وهذه الصور في مجملها تؤكد على عزة الإسلام والمسلمين بعد أن تولى صلاح الدين أمر جهاد الفرنجة.

وقال الشاعر ابن سناء الملك عن صلاح الدين وشجاعته:[١٧]

ولابـن أيَّـوبَ دانـت كُـلُّ مملكـةٍ ... بالصَّـفحِ والصُّـلحِ أو بـالحربِ والحَـرَبِ
مظفَّـرُ النَّصـرِ منعـوتٌ بهمتـه ... إلى العـزائمِ مـدلول علـى الغَلـبِ
والـدَّهرُ بالقَـدرِ المحتـومِ يَخدُمُـه ... والأرضُ بـالخلقِ والأفـلاكُ بالشُّـهبِ
ويَجتلـي الخلـقُ مـن راياتـهِ أبـدًا ... مبيضـةَ النَّصـرِ مـن مصـفرَّة العَـذَابِ

والشاعر ابن سناء الملك يؤكد أن الممالك دانت لممدوحه إما راغمة بعد أن أراها عزماته، وإما راغبة بعد أن طغت مهابته، ووصفه بالهمة العالية، وصاحب الفأل الحسن، وأنه منصور من الله والناس أجمعين، ورایاته أبدًا مرفرفة بالنَّصر الذي جلبه أصحاب العمائم الصفراء من فرسانه النحارير. وفي مثل أبيات ابن سناء الملك نلحظ ذلك الإعجاب من المجتمع لأبطاله وفرسانه حاملي لواء الجهاد والذائدين عن الحمى.

وخلعت على صلاح الدين الألقاب حبًا فيه وصارت الركبان تسير بها تخبر عنه، فقد سماه سعادة الأعمى في أبيات سابقة بـ (نصر الهدى)، ووصفه الشاعر نجم الديت بن مجاور بـ (والد الدين) الذي يحنو على بنيه ويرحمهم، قال:[١٨]

مـــولى غـــدا للـــدين أكـــرمَ والـــدٍ حـــدبٌ علـــى أبنائـــهِ مترفـــرفُ

ولم يمجد الشعراء بطولة صلاح الدين وحده، بل مجدوا البطولة في آل أيوب ممن خاضوا غمار الحرب ضد الفرنجة وأظهروا شجاعة فائقة واستبسالًا عظيمًا، فها هو ابن الساعاتي يمدح تقي الدين عمر بن شاهنشاه –ابن أخي صلاح الدين– ويمجد بطولته، يقول:[١٩]

لـــو لا بَســـالتهُ لمـــا ظَمِئـــتْ أَســـلُ الفـــرنجِ إلى دمٍ بَســـلِ

فالشاعر ابن الساعاتي يؤكد أن شجاعة وبسالة ممدوحه وإعماله القتل في العدو؛ كانت سببًا في أن سيوف الفرنجة تعطشت لدماء الفرسان البواسل من المسلمين، والتي عصمت بسيف الممدوح.

والشاعر الوزير القاضي الفضل يفخر بشجاعة بني أيّوب جميعًا، ويقرظ شجاعتهم وإقدامهم، يقول:[٢٠]

قالُوا:رأينـــا الأُسُـــودَ الصَّـــبْرُ عـــادتُهُم فقُلتَ:أبنـــاء أيّـــوبٍ ولا عَجَـــبُ
الشَّـــاربُون كُئُـــوسَ المـــوتِ مُترعَـــةً وللأسِـــنَّةِ في حافاتِهـــا حَبَـــبُ
والمضـــرِمُونَ لنـــار الحـــربِ لـــيس لهـــا إلَّا الرِّمـــاحَ وأضـــلاعَ العِـــدَا حَطَـــبُ

فالشاعر الوزير يصف إقدام بني أيّوب وعدم خوفهم من الموت، وأنهم مشعلو نار الحرب يحرقون بها عدو الله وعدوهم.

وممن ظفر بتقدير عظيم وتمجيد سامي، قائد الأسطول البحريّ حسام الدين لؤلؤ،فقد كانت له مواقف جليلة في حرب الفرنجة، وذكر ابن الذرويّ طرفًا منها في هذه الأبيات، يقول:[٢١]

مـــرَّ يـــومٌ مـــن الزمـــانِ عجيـــبُ كـــاد يبـــدي فيـــه الســـرور الجمـــادُ

إذ أتـــى الحاجـــبُ الأجـــل بأســـرى قـــــرنتهم في طيهـــــا الأصـــــفادُ
بجمـــــــالٍ كـــــــأنَّهن جبـــــــالٌ وعلـــــــوجٍ كأنَّهـــــا أطـــــــوادُ
قلـــت بعـــد التكبـــيرِ لمـــا تبـــدى هكـــذا هكـــذا يكـــون الجهـــادُ
حبـــذا لؤلـــؤ يُصـــيد الأعـــادي وســـواه مـــن الـــلآلي يُصـــادُ

فالشاعر يمجد بطولة هذا القائد الذي أسر الأعداء وكبلهم وساقهم كما تساق الأنعام.

والصور السابقة واضحة التعبير، سليمة الدلالة على المعاني، قريبة المأخذ لا غموض في فهمها ولا لبس في دلالتها، والصور واضحة بينة. ومرجع ذلك في اعتقادي أن قائليها أرادوا لها الذيوع والانتشار بين الناس، حتى تحفز الهمم والعزائم وتثير الحمية للذود عن الدين.

وهناك دلالة واضحة نلحظها في هؤلاء الشعراء، وهي أنهم يجدون في أنفسهم ميلًا واعجابًا قويًا بهؤلاء الأبطال، واستطاعوا أن يعبروا عن الإكبار بكل ما أوتوا من قدرة وإبداع.

وصف المعارك الكبرى:

وبعد أن وقفنا على تمجيد بطولة الأيوبيين وقادتهم ندلف إلى وصف المعارك التي خاضها أولئك الأبطال، فقد أشاد الشعراء بالانتصارات التي حققت، وعددوا مافي المعارك من استبسال وبأس شديدوقتال ضروس، ووصفوا قدرة القادة على إدارة المعارك وتميزهم بالحنكة والدربة والدهاء، وصبرهم على مكاره الحرب.

ولعل أكثر المعارك التي نالت حظًا وافرًا من الاهتمام، تلك المعارك الفاصلة والعظيمة مثل حطِّين، واستعادة بيت المقدس، ومعركة دمياط.

أما حطِّين فقد كان بطلها بلا منازع صلاح الدين الأيّوبي، وهذه المعركة حشد لها الفرنجة أعظم ما لديهم من قوة بشرية وأداة قتالية، ولكن بفضل الله ثم بعزائم الأبطال دُحِروا وردُوا على أعقابهم خاسرين، وصاروا مابين قتيلٍ وجريحٍ وأسيرٍ وفارٍ، وزلزلوا زلزالًا شديدًا. وعن معركة حطِّين يقول العماد الأصفهاني كاتب صلاح الدين:[٢٢]

حططتَ على حِطِّين قَدْرَ ملوكِهم ... ولم تُبقِ من أجناسِ كُفرهُم جِنْسَا
غداة أسود الحرب معتقلو القنا ... أساود تبغى من نحور العدا نهسَا
أتوا شُكْسَ الأخلاق خشنًا فليَّنت ... حدود الرقاق الخشن أخلاقهاالشُكُسَا
بواقعة رجت لها الأرض جيشهم ... دمارًا كما بست جبالهم بسَا
بطون ذئب الأرض صارت قُبورَهُم ... ولم تَرْضَ أرضٌ أن تكون لهم رمسَا
وطارت على نار المواضي فراشهُم ... صلاء فزادت من خمودهم قبسَا
وقد خشعت أصوات أبطالها فما ... يعي السامع إلا من صليل الظُّبا همسَا
سبايا بلاد الله مملوءة بها ... وقد شريت بخسًا وقد عرضت نخسَا
يطافُ بها الأسواقُ لا راغب لها ... لكثرتها كم كثرةٍ توجب الوَكْسَا

يصف الشاعر تلك الواقعة والذلة التي كست الفرنجة بعد أن هزموا شر هزيمة على أيدي فرسان المسلمين الصناديد،فقد كسروا شوكتهم، وشتتوا شملهم، وأرغموا أنوفهم بالتراب، حتى ضاق البر عن موتاهم وأشبعت الوحوش من أشلائهم، وفرَّ خلق كثير منهم إلى الصحاري والقفار، وكثرت سباياهم حتى رخصت أسعارها وزهد النَّاس عن شرائها، وكان قوام جيش الفرنجة في هذه المعركة يقدر بحوالي خمسة وأربعين ألفًا، أما جيش صلاح الدين فقد كان اثني عشر ألفًا.

ونلحظ في الأبيات أثر القرآن الكريم في نحو قوله: بواقعة رجت لها الأرض، وبست جبالهم بساً، وشريت بخساً. واستخدام الشاعر لهذه الألفاظ القرآنية يدل على قوة اتصاله بالقرآن وتأثره بثقافته.

أما فتح بيت المقدس فقد تنوعت الإشادة به فتارة يصفون معاركه، وحينًا يتحدثون عن نتائج الفتح، وأخرى يصورون فرحة المسلمين باستعادته وحزن الفرنجة لفقده.

ونقف مع أبيات الشاعر ابن الساعاتي التي يرى فيها أن الفتح قد أثار المشاعر وأهاج الأنفس ابتهاجًا ففاضت نَثْرًا وشعرًا، يقول:[٢٣]

أعيَّا وقد عاينتمُ الآية العُظمى ... لأيَّة حالٍ تذخر النَّثر والنَّظما

وقد ساق فتح القدس في كل منطقٍ ... وشاع إلى أن أسمع الأسل الصُّما
تحلُّ به الأضدادُ واللفظ واحدٌ ... فكم سرَّ قلبًا في الأنام وكم غمَّا
حبا مكَّة الحسنى وثنَّى بيثربٍ ... وأطرَ ذيَّاك الضَّريح وما ضمَّا
فليت فتى الخطَّاب شاهد فتحها ... فيشهد أنَّ السهم من يوسف أصمى
وقد أوتي الفتحين مالًا وبلدةً ... فلم يُبقِ نصرًا ما حواه ولا غُنما
ففي لهواتِ الشِّرك أرسلها شجًا ... وفي جبهة الأيام غادرها وسما
وماكان إلا الداءَ أعيا دواؤهُ ... وغيرُ الحسام القضب لا يعرف الحسما
سلو الساحل المخشيَّ عن سطواته ... فما كان إلا ساحلًا صادف اليمَّا
تجاوزت ما أعيا الجبالَ منالُهُ ... فهل يقظةً كانت مساعيك أو حُلما

فالشاعر يبدي فرحه بهذا الفتح العظيم الغالي، ويرى أن النَّثر والشعر خُلقا لتخليد مثل هذه الانتصارات وهذه البطولات، ويصور في أبياته حزن الفرنجة على فقد بيت المقدس وضياعه من بين أيديهم، ويقابل هذه الصورة بصورة فرح المسلمين باستعادته، ولم يقتصر الفرح كما يرى الشاعر على مصر والشام بل تعداهما إلى مكة والمدينة، ويبالغ الشاعر في تصوير فرحة الرسول صلى الله عليه وسلم في قبره، وكذلك يقارب بين الصورة الأولى لفتح بيت المقدس في زمن سيدنا عمر بن الخطاب وبين فتح صلاح الدين الثاني له، ونلحظ – هنا– استمدادًا للتاريخ الإسلامي

وعقد المقارنة بين تاريخ الفتحين؛ ليؤكد أن جهاد صلاح الدين إنما هو امتداد لذلك الوهج النبويّ الذي سار على نهجه الخلفاء الراشدون.

ويستمر الشاعر في وصف معركة الفتح حيث ذكر أنها كانت معركة حامية الوطيس، أذاق المسلمون فيها الفرنجة مرارة الهزيمة برًا وبحرًا، والشاعر من شدة فرحه بين مصدقٍ ومكذبٍ لهذا الفتح يحسبه تارةً حقيقةً، وأخرى حلمًا، ومرد ذلك أن بيت المقدس قد استعصى على المسلمين فتحه، وكان أمرًا دونه خرط القتاد، ولكن بعزيمة صلاح الدين وإقدامه هان الأمر وجُلب النصر.

فيما سبق ذكرنا أبيات أمير دمياط جمال الدين الكناني التي أرسلها إلى الملك الكامل يحرضه على الجهاد، ونصرة المسلمين المحاصرين من قبل الفرنجة، وفيما يلي نرى استجابة الملك الكامل لنصرتهم والتي خلدها الشاعر البهاء زهير، حيث صور المعركة، ووصف انتزاع دمياط من الفرنجة، ومدح الملك الكامل في قوله:

بكَ اهتزَّ عِطف الدِّين في حُلل النَّصرِ ... ورُدَّتْ علـى أعقابهـا مِلَّـةُ الكُفْـرِ
فقـد أصـبحتْ والحمـدُ للهِ نِعمـةً ... يقَصِّـر عنهـا قُـدرةُ الحمـدِ والشـكرِ
يقِـلّ بهـا بَـذل النّفـوسِ بشـارةً ... ويَصـغُرُ فيهـا كـلّ شـيء مـن النَّـذرِ
إلا فليقُـلْ مـا شـاءَ مـن هـو قائـلٌ ... ودونـكَ هـذا موضـعُ الـنَّظمِ والنَّثـرِ

ويؤكد البهاء زهير على الوحدة الإسلامية، وأن الأمة كالجسد الواحد تحس بآلام جميع الأعضاء وأفراحها، يقول:

ليَهْنئـك مـا أعطـاكَ ربُّـكَ إنَّهـا ... مواقِـفُ مـن الغُـرُّ في موقـف الحشـرِ
ومـا فرِحـت مصـرُ بـذا الفـتحِ وحَـدَها ... لقـد فرحـتْ بغـدادُ أكثـر مـن مصـرِ
وأُقسـمُ لـولا هِمَّـةٌ كامِليـةٌ ... لخَافَـتْ رِجـالٌ بالمقـامِ وبـالحِجرِ

وكيف لا تفرح بغداد مهد الخلافة وقد كفاها الكامل شرَّ الصليبين، وكيف لا تفرح مكة وقد صدّ الكامل عنها وزاد، فقد كان في نيّة الفرنسيس قائد الفرنجة غزو الأراضي المقدسة بعد أن يقضي على ملك مصر.

ويصف البهاء المعركة، فقد حاصرهم الكامل ثلاث سنين، ثم غزاهم فشتت شملهم ولم يغادر منهم أحدًا، يقول البهاء في ذلك:

ثلاثـة أعـوامٍ أقمـت وأشـهُرًا ... تُجاهِـدُ فـيهمْ لا بزيـدٍ ولا عمـرو
صَـبَرتَ إلى أنْ أنـزل اللهُ نَصـرهُ ... لـذلكَ قـد أُحِمـد عاقبـةَ الصَّـبرِ
وليلـةِ غـزوٍ للعـدوَّ كأنَّهـا ... بكثـرة مـن أرديتـهُ ليلـةُ النَّحـرِ
فيـا ليلـة قـد شـرَّف اللهُ قـدرها ... ولا غـروَ إن سمَّيتُهـا ليلـة القـدرِ

ويصف البهاء جيش الملك الكامل وأدواته القتالية من فرسان خيالة وراجلين وهم يحملون السيوف والرماح، وأساطيل بحرية. كما يصور الشاعر كيف أذاق هذا الجيش الفرنجة مُرَّ الهزيمة، يقول:

سـدَدت سـبيلَ الـبَّرِ والبحـرِ عـنهُمُ ... بسـابحةٍ دُهْـمٍ وسـابحةٍ غُـرِّ
أسـاطيلُ ليسـتْ في أسـاطيرِ مـنْ مضـى ... بكـلّ غُـرابٍ راح أفتـكَ مـن صـقْرَ
وجـيشٍ كمثـل الليّـل هَـوْلًا وهيبـةً ... وإن زانـهُ مافيـهِ مـن أنجُـمٍ زُهـرِ
وكـلُّ جـواد لم يكُـنْ قـطُّ مثلُـهُ ... لآل زهـيرٍ لا ولا لبـني بـدرِ
وباتَـتْ جُنُـودُ الله فـوق ضَـوامرٍ ... بأوضـاحِها تغـني السُّـراةَ عـن الفجـرِ
فروَّيـت مـنهم ظـامئَ البـيضِ والقنـا ... وأشبعت منهم طـاوي الـذئب والنّسـرِ
وجـاءَ مُلـوكُ الـروم نحـوكَ خُضَّـعًا ... تُجـرِّرُ أذيـالَ المهانـةِ والصُّـغرِ

ويصف البهاء زهير الانتصار وفرح المسلمين به، يقول:[٢٤]

فلِلـهِ يَـومُ الفـتحِ يَـومَ دُخولِهـا ... وقـد طـارتِ الاعـلامُ منهـا علـى وكـرِ
لقَـد فـاق أيَّـام الزَّمـانِ بأسـرِها ... وأنسـى حـديثًا عـن حُنـينٍ وبـدرِ
ويـا سـعدَ قـومٍ أدركـوا فيـهِ حظَّهـمْ ... لقـد جمعـوا بـيْنَ الغنيمـةِ والأجـرِ
وإنّي لمرتـاحٌ إلى كـل قـادمٍ ... إذا كـان مـن ذاك الفُتـوحِ علـى ذكـرِ
وأُصـغي إليـهِ مُسـتَعيدًا حديثـهُ ... كـأنّي ذو وَقـرٍ ولسـتُ بـذي وَقـرِ

وفي بيت (لقد فاق أيام الزمان) لم يكن البهاء موفقًا، فمن شدة نشوته بهذا الانتصار خرج عن اللائق والأخلاقي ولا نقول عن العقديّ؛ لأنه بخس انتصار المسلمين في عهد النبوة في غزوتي حُنين وبدر، ولولاهما لدكت صياصي الإسلام وعزه ومجده، وكان حريًا بالبهاء أن يعقد المقارنة بين تلك الغزوات وواقعة دمياط كما فعل الشاعر ابن الساعاتي عندما عقد المقارنة بين فتح سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لبيت المقدس وبين فتح صلاح الدين الأيّوبي له.

السخرية من تهديد العدو:

التهديد والوعيد وسيلة يتخذها الجيش لتحطيم الروح المعنوية لدى عدوه، واشتهر فرسان الفرنجة بالشجاعة والإقدام قال عنهم الشاعر الأمير أسامة بن منقذ: (والأفرنج خذلهم الله، ما فيهم فضيلة من فضائل الناس سوى الشجاعة).[٢٥]

وأناس هذا وصفهم كان من الطبعيّ أن يهددوا المسلمين ويتوعدوهم بالويل والثبور وعظائم الأمور (وكان التهديد الذي يأتي من قبل الصليبيين مليئًا بالطنطنة والإدعاء، يحيط به الكبرياء والجبروت).[٢٦]

ومن تهديدات الفرنجة ذلك الكتاب الذي أرسله ملكهم إلى الملك الكامل يقول فيه: (كان الجيد والمصلحة للمسلمين أن يبذلوا كلَّ شيء ولا أجئ إليهم، والآن وقد كنتم قد بذلتم لنائبي في زمن حصار دمياط الساحل كله، وإطلاق الحقوق بالإسكندرية، وما فعلناه وقد فعل الله لكم مافعل، من ظفركم، وإعادته لكم من نائبي؟! إن هو إلا أقل غلماني، فلا أقل من إعطائي ماكنتم بذلتموه له).[٢٧]

هكذا كان تهديد ووعيد ملوك الفرنجة للمسلمين فكيف،كان تهديد ووعيد المسلمين وردهم؟ بعد تلك الرسالة عزم الفرنسيس ملك فرنسا أن يعود إلى غزو مصر، فكتب إليه الشاعر ابن مطروح على لسان الملك الكامل والمسلمين قصيدة فيها تهديد شديد ووعيد مخيف، وامتازت هذه القصيدة بالسخرية والتهكم، قال:[٢٨]

قُـــلْ للفرنســـيس إذا جئتـــهُ ... مقـــالُ صـــدقٍ مـــن قئـــولٍ فصـــيح
آجـــرك الله علـــى مـــا مضـــى ... مِـــنْ قتـــلِ عبـــادِ يســـوع المســـيح
فســـاقك الحـــين إلى أدهـــم ... ضـــاق بـــه عـــن ناظريـــك الفســـيح
رحـــت وأصـــحابك أودعـــتهم ... بقـــبح أفعالـــك بطـــن الضـــريح
خمســـون ألفًـــا لايُـــرى مـــنهم ... إلا قتـــيلًا أو أســـيرًا جـــريح
فـــردك الله إلى مثلهـــا ... لعـــل عيســـى مـــنكم يســـتريح
إن كـــان بابـــاكم راضـــيًا ... فـــرب غـــبن قـــد أتـــى مـــن نصـــيح

فاتخـــــــذوه كاهنًـــــــا إنـــــــه أنصـــح مِـــنْ شـــقٍّ لكـــم أو ســـطيح
وقُـــــلْ لهُـــــم إن أضـــــمروا عـــــودةً لأخـــــذ ثـــــأرٍ أو لقصـــــدٍ صـــــحيح
دار ابـــــن لقمـــــان علـــــى عهـــــدها والقيـــــدُ بـــــاقٍ والطواشـــــي صـــــبيح

نلاحظ هذا التهكم وتلك السخرية الواضحة، فالشاعر يدعو أن يجزي ملك الفرنجة خير الجزاء بما أسدى من قتل المشركين عبدة المسيح، ويسخر منه لسوء ماتعرض له من هزيمة حين قدم إلى مصر في المرة الأولى ظانًا أنها قريبة المنال سهلة الأخذ، ولم يكن يدري أنه سوف يتم أسره ويحبس مقيدًا في دار ابن لقمان –وهي دارٌ حقيرة– ويوكل لخدمته مولى رقيق يدعى صبيح شرس الخلق، وصعب المعاملة أذاقه الأسر ومهانته.

ويذكره الشاعر كيف أن الدنيا ضاقت عليه بما رحبت وقد خلف أصحابه في القبور بعد أن قضى عليهم جيش الملك الكامل. ويتحدى الشاعر الملك الفرنسيس أن يعود الكرة مرة أخرى عسى أن يصيبه ما أصابه في المرة الأولى، فيستريح عيسى منهم ومن دعواهم. ونلحظ في البيتين الأخيرين تهديد من واثق مطمئن لا يخاف.

وصف أدوات الحرب:

من الطبيعي في عصر سادت فيه الحرب أن نجد وصفًا لآلات القتال وعدته، ووصف ما يتصل بهذه الحرب. ولم يكن الشعر ببعيدٍ عن هذا المظهر، فقد تفنن الشعراء في وصف الأداة الحربية وما شابهها، ومن ذلك وصف الشاعر ابن سناء الملك لخيل وجنود صلاح الدين الأيّوبي، يقول:[٢٩]

رَمـــت بـــه الجُـــردُ في التيَّـــارِ أنفســـها فعوْمُهـــا فيـــه كالتَّقريـــبِ والخَبَـــبِ
لم تـــرضَ بالسُـــفنِ أن تَغـــدُو حواملهـــا فعزُّهـــا لـــيس يَرْضـــى ذِلَّـــة الخشـــبِ
وكـــان علَّمهـــا قطـــعَ الفـــرات بـــه تعلُّـــمُ العـــومِ في بحـــر الـــدَّم السَّـــربِ
وجاوزتـــــه وأبقـــــى مـــــن فواقعـــــه درًّا توضَّـــــع فـــــوق العُـــــرف واللَّبـــــبِ

يصور لنا ابن سناء سباحة هذه الخيول في نهر الفرات إلى الشاطئ الآخر، حيث شبه حركة رؤوسها في الماء بمشي الإبل خببًا وتقريبًا، ثم يصف عزتها وعدم ركوبها على السفن

حتى تصل إلى البر، وفي هذا دلالة على أن هذه الخيول خيول عربية أصيلة، ونلحظ هذه المبالغة الطريفة المحببة التي أرجع فيها الشاعر مهارة الخيل في السباحة لكثرة ما خاضت في دماء الأعداء.

والشاعر القاضي الفاضل يصف سيوف صلاح الدين الأيّوبي في قوله:[٣٠]

وَكَـــمْ أورَدتَّهَـــا بيضًـــا ظِمَـــاءً ... وَكَـــمْ أصـــدَرتَّها حُمْـــرًا رواءَ
وَكَـــمْ أطلعـــتَ مـــن لمـــعٍ صـــباحًا ... وَكَـــمْ أرجعـــتَ مـــن نقْـــعٍ عِشَـــاءَ
وتُلبسُـــهُمْ ثِيَـــابَ المـــوتِ حُمْـــرًا ... فقـــد صـــار الرِّجـــالُ بـــه نِسَـــاءَ

وقال أيضًا:[٣١]

وَكَـــمْ أغـــصَّ بمـــاءِ المرهفـــاتِ عِـــدًى ... فلـــم تَـــدعْ غُصصًـــا إلا شـــرَقِ
صـــوارمٌ تحمـــلُ الآجـــال لابســـةً ... علـــى سَـــرائِرِهَا ثوبًـــا مـــن الملَـــقِ

فهذه السيوف تشرق وتغص حلوق الأعداء من مرآها بما حملت إليهم من آجالهم، ولكنها تخفي نيتها في حصدهم في ثوبٍ من الملق عند تبسمها في يد ملاعبها وتوهجها عند تموجها، فلا يبدو ما بأساريرها من عبوسٍ وغضبٍ، فكأنها تخفي سريرة نفسها. ونلحظ التورية في كلمة "سرائرها".

وتفنن الشاعر في وصف جملة من أداة الحرب، يقول:[٣٢]

وســلْ ألســن الأعــلام عــن فتكاتــه ... غــداة التقــى الجمعــانِ كُفــرٌ وإيمــانُ
بحيــث كلــوم الــدارعينَ لــدى الــوغى ... مــوارد والسُّــمرُ الــذوابلُ أشــطانُ
كــأنَّ القنــا أغصــانُ بــانٍ وبيضــهم ... جــداول والزغــفُ المضــعفُ غــدرانُ
هنــاك دمــاءُ القــوم حُمــر مزاجُهــا ... ميــاه المواضــي والأســنَّةُ ريحــانُ
إذا مــا تغنَّى السيف في الهام والطُّلى ... خفيفًــا تثــنَّى رمحــه وهــو نشــوانُ
ثــنى القــوس عنــهُ راضــيًا لبلائــهِ ... وكــم مــرَّ دهــرٌ دونــهُ وهــو غضــبانُ
بأقمــارِ ليــلٍ والترائــك هالُهــا ... أســود أقلَّتهــا مــن الخيــلِ عقبــانُ
ولــو لم يكــن لــيلًا مــثارُ عجاجــهِ ... لمــا ســارَ فيــه صــارمٌ وهــو عَريــانُ

أكد ابن الساعاتي أن المعركة بين الحق والباطل، وهو وصف درج -تقريبًا- كل شعراء العصر الأيّوبي على تأكيده في قصائدهم التي تتحدث عن الجهاد ضد الفرنجة.

وبدأ الشاعر وصفه لآلة الحرب التي قاتل بها المسلمون الفرنجة، حيث صور جراح الفرنجة كأنها آبار ورماح المسلمين كأنها دلاء تشرب من دمائهم، ثم شبه القنا بالبان، والبيض بالجدول، والزغف بالغدير، والسيوف بالماء، والأسنّة بالأزاهر، ثم استخدم تشبيه التمثيل في وصف عمل السيوف على الرقاب فاختار لها صورة راقص على ألحان الخفيف. ومثل الفرسان على خيولهم في لحظة غضبهم وهياجهم بأسود محملة على أجنحة طيور العقبان، وفي هذه الصورة الأخيرة مبالغة لطيفة تطلبها الموقف، فالشاعر أراد أن يخبر عن شدة بأس فرسان المسلمين وقوة كرهم وشراستهم بهذه الصورة المبالغ فيها.

الخاتمة:

إن الحروب الصليبية لم تبدأ في عهد صلاح الدين الأيوبي كما بينا، ولكن اشتدت وحميت في هذا العصر، وانفعل المجتمع الأيّوبي مع هذه الحروب الجهادية، وكان نعم العون لقادته في صد الخطر الصليبي التنصيري. واستطاع القادة أن يوحدوا الأمة الإسلامية بجميع مشاربها ومذاهبها، وأن يستثيروا في الناس العزة والعزيمة والنخوة والحمية الدينية.

وكان للشعر والشعراء دورٌ بارز في هذه الملحمة، إذ مجدوا أبطال الحروب ضد الصليبية، ونافحوا عنهم بتبصير الناس بخطر الغزاة وقوتهم، وركزوا على الجانب الديني للحرب فاندفع الناس للذود عن بيضة الدين والعرض والحمى. فقد مجد الشعراء الجهاد وبينوا للناس ضرورته من خلال أشعارهم، ونأي معظمهم عن تمجيد القادة -وإن كانو يستحقون ذلك- وعمدوا إلى تصوير انفعالات المجاهدين وحماسهم، وكان هدفهم الأعلى إثارة الحمية الدينية لدى المسلمين.

من الأشياء الملاحظة في هذا البحث أن الشعراء حرصوا على تصوير المعارك والانتصارات وفي هذا دلالة على أن قصائدهم أسهمت بشكل كبير في هذه الانتصارت، كما رصدوا فرحة المسلمين باستعادة بيت المقدس، وحطين ودمياط وغيرها وبشروا الناس بها وأذاعوها بينهم.

أبان الباحث أن بعض الشعراء أثارت قصائدهم عزمات الملوك فدعو للجهاد العام في البلاد مثل قصيدة الكناني التي خاطب بها الملك الكامل. وأبرز الشعراء شجاعة القادة والمجاهدين في الحرب وجاء ذلك على لسان القاضي الفاضل وابن الذّروي، ونلحظ كذلك أن الشعراء انبروا للرد على تهديدات الفرنجة للمسلمين بحجج دامغة وأسلوب ساخر يذكرهم بهزائمهم وخذلانهم، ومن ذلك رد الشاعر ابن مطروح للملك الفرنسيس ملك فرنسا. وامتاز العصر بصناعة السلاح وجودته، وهذا لاحظناه من خلال وصف الشعراء لأنواعه واستعمالاته.

وأخيرا امتاز الشعر الجهادي في هذا العصر بالغيرة الدينية، وحرارة العاطفة والحماسة الدافقة بين سطوره وأبياته والتي كان لها أكبر الأثر في علو الهمة وزيادة العزائم لدى المجاهدين في هذا العصر الذي نهفو إليه بقلوبنا وأرواحنا، ونتطلع إلى عوده بأبطاله وفتوحاته وعزه ومجده.

هوامش البحث:

[١] إياس، محمد بن أحمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق: محمد مصطفى، (القاهرة: مطابع الشعب، ١٩٦٠م)، ج١، ص٥٥.

[٢] ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن إبراهيم، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٩م)، ج١، ص١٦٥.

[٣] الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد، **عيون التواريخ**، تحقيق: فيصل السامرائي، ونبيلة عبد المنعم داود، (بغداد: ١٩٨٠م)، ج٢، ص٢٥٨.

[٤] القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة، ١٩٣٦م)، ج٤، ص٢٨.

[٥] أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، (مصر: المطبعة الحسينية، د.ت)، ج٣، ص١٢٥.

[٦] الإسكندري، عمر، والميجر ا.ج سقرج، **تاريخ مصر إلى الفتح العثماني**، (مصر: دار المعارف، ١٩٢١م)، ص٨٢.

[٧] حمزة، عبد اللطيف، **الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول**، (دار الفكر العربي: ١٩٦٨م)، ص٨٢.

[٨] قاسم، قاسم عبده، **ماهية الحروب الصليبية**، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والآداب، ١٩٩٠م)، ص٢٥.

[٩] ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر سبط، **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، (العراق: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٩٠م)، ص٣٤.

[١٠] حمزة، **الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول**، ص٥٦.

[١١] أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، (مصر: ١٢٨٨هـ)، ج١، ص١٥٠.

[١٢] البيساني، عبد الرحيم بن علي، **ديوان القاضي الفاضل**، ط١، تحقيق أحمد أحمد بدوي، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦١م)، ج١، ص٢٤٧.

[١٣].المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، صححه ووضع حواشيه: محمد مصطفى زيادة، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٣٤م)، ج١، ص١٩٩

[١٤] الصفدي، خليل أيبك، **نكت الهميان في نكت العميان**، (مصر: المطبعة الجمالية، ١٩١١م)، ص١٥٨.

[١٥] الأصفهاني، العماد، **خريدة القصر وجريدة العصر**، تحقيق: أحمد أمين وآخرين، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، ١٩٥١م)، ج٢، ص١٢٢.

[١٦] أبو شامة، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، ج٢، ص٨٢

[١٧] ابن سناء، هبة الله بن القاضي الرشيد، **ديوان ابن سناء**، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، (القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٩م)، ص١.

[١٨] أبو شامة، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، ج٢، ص١٠٣.

[١٩] الخرساني، بهاء الدين أبي الحسن بن رستم بن هردوز، **ديوان ابن الساعاتي**، تحقيق: أنيس المقدسي، (بيروت: المطبعة الأمريكانية، ١٩٣٩م)، ج٢، ص٢٠.

[٢٠] البيساني، **ديوان القاضي الفاضل**، ج٢، ص١٦٤.

[٢١] أبو شامة، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، ج٢، ص٣٦.

[٢٢] السابق نفسه، ج٢، ص٨٣.

[٢٣] الخرساني، **ديوان ابن الساعاتي**، ج٢، ص٣٨٥.

[٢٤] الحسن، أبو الفضل زهير بن محمد بن علي بن يحيى، **ديوان البهاء زهير**، ط٢، شرح وتحقيق: محمد طاهر الجبلاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢م)، ص١٢١ وما بعدها.

[٢٥] ابن منقذ، أسامة، **الاعتبار**، تحقيق: فيليب حتى، (الولايات المتحدة:مطبعة جامعة برستون، ١٩٣٠م)، ص٤٨

[٢٦] بدوي، أحمد أحمد، **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام**، (مصر: مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، د.ت)، ص٤٨١.

[٢٧] المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ج١، ص٢٢٨.

[٢٨] ابن مطروح، جمال الدين، **ديون جمال الدين بن مطروح**، (طبعة القسطنطينية، ١٢٩٨هـ)، ص١٨١.

[٢٩] ابن سناء، **ديوان ابن سناء**، ص٣

[٣٠] البيساني، **ديوان القاضي الفاضل**، ط١، ج١، ص١٣١.

[٣١] السابق نفسه، ج١، ص٢٦٥.

[٣٢] الخرساني، **ديوان ابن الساعاتي**، ج١، ص١٢٩.

References: **المراجع:**

Abū Shāmah, Shihāb al-Dīn ʿabd al-Raḥman bin ʾismāʿīl, *al-Rawḍatayn fī ʾakhbār al-Dawlatayn al-Nūriyyah wa al-Ṣalāḥiyyah* (Egypt: ١٢٨٨).

Abū al-Fidāʾ, al-Malik al-Muʾaiyad ʿimād al-Dīn ʾismāʿīl, *al-Mukhtaṣar fī ʾakhbār al-Bashar*, (Egypt: al-Maṭbaʿah al-Ḥusaniyyah, no date).

Al-ʾaṣfahāniyy, al-ʿimād, *Kharīdah al-Qaṣr wa Jarīdah al-ʿaṣr*, ed. Aḥmad ʾamīn wa ʾākhrūrūn, (Cairo: Maṭbaʿah Lajnah al-Taʾlīf wa al-Nashr wa al-Tarjamah, ١٩٥١).

Al-Baysāniyy, ʿabd al-Raḥīm bin ʿalī, *Dīwān al-Qāḍī al-Fāḍil*, ١st edition, ed. Aḥamad Aḥamad Badawiyy, (Cairo: Dār al-Maʿārif, ١٩٦١) .

Al-Ḥasan, Abū al-Faḍl Zuhayr bin Muḥammad bin ʿalī bin Yāḥyā, *Dīwān al-Bahāʾ Zuhayr* , ٢nd edition, ed. Muḥammad Ṭāhir al-Jabalāwiyy wa Muḥammad Abū al-Faḍl ʾibrāhīm, (Dār al-Maʿārif, ١٩٨٢) .

Al-ʾiskandariyy, ʿumar, wa al-Majar A.J Saqraj, *Tārīkh Miṣr ʾila al-Fatḥ al-ʿuthmāniyy*, (Egypt: Dār al-Maʿārif, ١٩٢١).

Al-Kharasāniyy, Bahāʾ al-Dīn Abū al-Ḥassan bin Rustum bin Hurdūz, *Dīwān Ibn Sāʿātī*, ed. ʾanīs al-Maqdisiyy, (Beirut: al-Maṭbaʿah al-ʾamrīkāniyyah, ١٩٣٩) .

Al-Kutbiyy, Muḥammad bin Shākir bin Aḥmad, *ʿuyūn al-Tawārīkh*, ed. Fiṣal al-Sāmurāʾiyy wa Nabīlah ʿabd al-Munʿim Dāwud, (Baghdad: ١٩٨٠).

Al-Maqrīziyy, Aḥmad, *al-Sulūk li Maʿrifah Duwal al-Mulūk*, ed. Muḥammad Muṣṭafā Ziyādah, (Cairo: Dār al-Kutub al-Maṣriyyah, ١٩٣٤).

Al-Qalqashandiyy, Abū al-ʿabās Aḥmad bin ʿalī, *Ṣubḥ al-ʾaʿashā fī Ṣināʿah al-ʾinshā*, (Cairo: al-Muʾasasah al-Maṣriyyah al-ʿāmah, ١٩٣٦).

Al-Ṣafadiyy, Khalīl ʾāibak, *Nakt al-Hamyān fī Nukat al-ʿumiyān*, (Egypt: al-Maṭbaʿah al-Jamāliyyah, ١٩١١).

Badawiyy, Aḥamad Aḥamad, *al-Ḥayāh al-ʾadabiyyah fī ʿaṣr al-Ḥurūb al-Ṣalībiyyah bi Miṣr wa al-Shām*, (Egypt: Maktabah Nahḍah Miṣr wa Maṭbaʿatihā) .

Ḥmazah, ʿabd al-Laṭīf, *al-Ḥarakah al-Fikriyyah fī Miṣr fī al-ʿaṣrayn al-ʾayyūbiyy wa al-Mamlūkiyy al-ʾawal*, (Dār al-Fikr al-ʿarabiyy: ١٩٦٨).

Ibn al-Jawziyy, Shams al-Dīn Abū al-Muẓaffar Sibṭ, *Mirʾāh al-Zamān fī Tārīkh al-ʾaʿyān*, (Cairo: Wizārah al-Thaqāfah wa al-ʾiʿlām, ١٩٩٠).

Ibn Khilikān, Abū al-ʿabās Aḥmad bin ʾibrāhīm, *Wafiyyāt al-ʾaʿyān wa ʾanbāʾ ʾabnāʾ al-Zamān*, ed. ʾiḥsān ʿabās, (Beirut: Dār al-Thaqāfah, ١٩٦٩).

Ibn Maṭrūḥ, Jamāl al-Dīn, *Dīwān Jamāl al-Dīn bin Maṭrūḥ*, (al-Qusṭanṭīniyyah, ١٢٩٨).

Ibn Munqidh, ʾusāmah, *al-ʾiʿtibār*, ed. Fīlīb Ḥatāa, (USA: Maṭbaʿah Jāmiʿah Birstūn, ١٩٣٠).

Ibn Sanāʾ, Hibah Allāh bin al-Qāḍī al-Rashīd, *Dīwān Ibn Sanāʾ*, ed. Muḥammad ʾibrāhīm Naṣr, (Cairo: Dār al-Kātib al-ʿarabiyy li al-Ṭibāʿah wa al-Nashr, ١٩٦٩)

ʾiyās, Muḥammad bin Aḥmad, *Badāʾiʿ al-Zuhūr fī Waqāʾiʿ al-Duhūr*, ed. Muḥammad Muṣṭafā, (Cairo: Maṭābiʿ al-Shaʿb, ١٩٦٠).

Qāsim, Qāsim ʿabduh, *Māhiyyah al-Ḥurūb al-Ṣalibiyyah*, (Kuwait: al-Majlis al-Waṭaniyy li al-Thaqāfah wa al-ʾādāb, ١٩٩٠).